

أحاديث رمضان ١٤٢٣ هـ - أحاديث قدسية - الدرس (٣١٠٨): إذا كان ثلث الليل الأخير نزل ربكم إلى السماء الدنيا.

لضيالة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٢-١١-١٣

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

#### المواظبة على قيام الليل :

أيها الأخوة الكرام:

(( عن أبي سعيد وأبي هريرة قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله يمهد حتى إذا ذهب ثلث الليل الأول نزل إلى السماء الدنيا فيقول: هل من مستغفر؟ هل من تائب؟ هل من سائل؟ هل من داع حتى ينفجِر الفجر؟ ))

[مسلم عن أبي سعيد وأبي هريرة]

والله أيها الأخوة لسنوات طويلة جداً تزيد عن العشرين ما من أخ وقع في مشكلة كبيرة يبدو أن ليس لها حل، وأغلقت أمامه كل الأبواب، وسدت أمامه كل المنافذ، وجاءني مستغيثاً لا أملك إلا هذا الحديث أقول له: صل ركعتين في ثلث الليل الأخير، لأن الله سبحانه وتعالى في نص الحديث الصحيح يقول:

((...نزل إلى السماء الدنيا فيقول هل من مستغفر هل من تائب هل من سائل هل من داع حتى ينفجِر الفجر))

[مسلم عن أبي سعيد وأبي هريرة]

قد تأتي مشكلات فوق طاقة الإنسان، ويقاد للإنسان من جهات قوية لا يستطيع لها مجابهة، قد تأتي أمراض وبيلة، ويفتقر الإنسان، ويتأمر عليه من حوله، ويطعنه في الظهر أقرب الناس إليه، في حالات صعبة جداً هذا الحديث فيه الفرج.

إله عظيم بيده ملوك السموات والأرض، بيده كل شيء، وهو القوة المطلقة، والرحمة المطلقة، والعدل المطلق، يقول لك: ألك حاجة أليها أك؟ أسألك يا عبدي، ادعني ألك حاجة فأقضيها؟ ألك ذنب فأغفره لك؟ ألك سؤال فأعطيه؟ ماذا ينتظر الإنسان؟

والله الذي لا إله إلا هو سمعت من بعض الأخوة قصصاً لا تصدق حول هذا الحديث، مصيبة ما بعدها مصيبة يزيحها الله عنك.

## العبرة من الدين أن يكون للإنسان علاقة مع الله مباشرة :

لذلك إن أردت أن تلخص العبادة كلها يمكن أن تلخص بالدعاء، وحينما تدعو الله عز وجل ويستجيب لك يجب أن تعد هذا يوماً من أيام الله، وقد قال الله عز وجل:

( وَذَكْرُهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ )

[سورة إبراهيم: ٥]

يوم دعوته فاستجاب لك، يوم سأله فأعطيك، يوم استغفرته فغفر لك، يوم اعزرت به فأعزك، العبرة أيها الأخوة من كل هذا الدين أن يكون لك علاقة مع الله مباشرة، أن تناجيه، وتسأله، وتستغره، وتطلب عفوه، وتطلب منه أن يتوب عليك، لابد من علاقة مباشرة.

أخ كريم حدث في حياته إحباط، الإحباط أدى به إلى حالة نفسية مرضية، فذهب إلى طبيب غير مسلم، الطبيب النفسي قال له بعد أن حدثه عن قصته كلها قال: مشكلتك أنك تشعر أن الله ليس راضياً عنك لابد من أن تكثر مناجاته.

كان عليه الصلاة والسلام إذا حزبه أمر بادر إلى الصلاة، المشكلات كبيرة جداً، الطالب في مدرسته، التاجر في تجارته، والمصانع في مصنعه، والموظف في مكتبه، والطبيب في عيادته.

## من ذاق طعم القرب من الله اكتفى به :

أحياناً تأتي مشكلات تسحق الإنسان من لك إلا الله؟ بل لعل الله سبحانه وتعالى من حكمته أنه يسوقك إلى بابه، يبتليك بمشكلات بهدف واحد أن يسمع صوتك، وتساق إلى بابه وتدونق طعم القرب منه، الإنسان ألف الحياة الدنيا، وألف الطعام، والشراب، والزوجة، والأولاد، والنزهات، والسهورات، والولائم، لكن لو أنه ذاق طعم القرب من الله لاكتفى به.

ورد في بعض الآثار القدسية: "أنه من أحيناً أحبناه، ومن طلب منا أعطيناه، ومن اكتفى بنا عما لنا كنا له وما لنا".

ورمضان كله من أجل تمثل قوله تعالى:

( وَإِذَا سَأَلَكَ عَبْدِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ )

[سورة البقرة: ١٧٦]

من أجل أن تقطع أملاك من الخلق وتعقد الأمل على الحق، من أجل أن تتصرف عن الخلق وتتجه إلى الله عز وجل، لأن كل شيء بيده، وإليه يرجع الأمر كله، فهذا الحديث أولاً في صحيح مسلم وصحيح الإمام مسلم أصح كتاب بعد القرآن الكريم يقول عليه الصلاة والسلام:

(( عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ قَالَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ يُمْهِلُ حَتَّى إِذَا  
ذَهَبَ ثَلَاثُ اللَّيْلَاتِ الْأَوَّلَ نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرَةٍ هَلْ مِنْ تَائِبٍ هَلْ مِنْ سَائِلٍ هَلْ  
مِنْ دَاعٍ حَتَّى يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ ))

[مسلم عن أبي سعيد وأبي هريرة]

في رواية ثانية يقول الله عز وجل:

(( عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَنْزَلُ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ  
حِينَ يَمْضِي ثَلَاثُ اللَّيْلَاتِ الْأَوَّلَ فَيَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الْمَلِكُ مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ ذَا  
الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيهِ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُضِيءَ الْفَجْرُ ))

[مسلم عن أبي هريرة]

هو ينتظرك، تعاني من مشكلة مالية، أو صحية، أو زوجية، أو حقوق الأبناء، أو انحراف الزوجة، ونشوزها، وتطاولها، ومن كсад البضاعة تعاني ما تعاني، هذا الحديث علاج لكل مؤمن.

### الدعاء يقوي العقيدة بالله عز وجل :

وأنا أقول لكم أيها الأخوة: لا يقوى عقيدتك بالله إلا الدعاء، كيف؟ أنت حينما تدعوه ويستجيب لك تعلم أنه سمعك، وأنه قدير، ورحيم، ومجيب، فيزداد إيمانك بالله.

قصة من أربعين عاماً؛ لي صديق له أب قاس، ظهر في صدره التهاب، فرأى بعض الأطباء إجراء عملية موضعية، فجاء ابنه على استحياء وخوف منه قال له: يا أبت سمعت من شيخي: "داووا مرضاكم بالصدقات"، طبعاً هو زار عدة أطباء يبدو أنه التهاب متفاقم، ولا بد من شق هذا المكان، وبعد أن زار كل من يعرفه من الأطباء كلهم أجمعوا على عملية موضعية، فهذا الابن ببساطة وبحياء وبخوف ووجل من أبيه قال له: سمعت من شيخي قول النبي عليه الصلاة والسلام أن:

### (( داووا مرضاكم بالصدقة ))

[أخرجه الطبراني عن عبد الله بن مسعود]

والده قاس جداً قال له: أنا سأدفع عنك خمس ليرات - قصة قديمة- فإن شفاك الله بهذه الصدقة آخذها منك، وإن لم تشف بها أنا أدفعها ولا علاقة لك بذلك، يبدو أن هذا الأب شديد جداً، فالله سبحانه وتعالى استجاب لهذا الابن البار وشففيت هذه المنطقة، وذهب القيح، والتام الوضع، فذهب إلى كل الأطباء الذين زارهم وأشاروا عليه بإجراء عملية وأراهم كيف شفي، وأصبح لهذا الأب اعتقاد بابنه دام عشرات السنين أن الله عز وجل لم يخيبه، نحن قبل سنتين دعونا الله للاستسقاء، وأنا يغلب على ظني أن هذا الاستسقاء كان صادقاً، الأموي وحوله مئات الأمتار كان ممتلاً، وكان في الدعاء تضرع، ووجل، وخوف، ثم جاءت الأمطار، ففي خطبة قلت: يا رب لا تشمت بنا الطرف الآخر، حاشا الله أن تدعوه مخلصاً ثم لا يستجيب لك، أن تعلق الأمل عليه ثم يخيب ظنك،

أن تتوكل عليه ثم لا تجد بغيرك، هو أهل التقوى وأهل المغفرة، قادر، سميع، عليم، محبب، رحيم،  
بيده كل القوى، أهل الأرض ممتهلون خوفاً من وحيد القرن! لو أنهم عرفوا أنه في قبضة الله، وأنه  
لا إله إلا الله، ولا معطي، ولا مانع، ولا قابض، ولا باسط إلا الله، ولا خافض، ولا رافع، ولا معز،  
ولا مذل إلا الله، لعكفوا على عبادة الله وارتقت نفوسهم، ألم يقل الله عز وجل:  
**(وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزُنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)**

[سورة آل عمران: ١٣٩]

### من وقع في المخالفات حجب عن الله :

كل بطولة المؤمن أن يؤهل نفسه للتلاقي نصر الله عز وجل، ولتحقق وعود الله، أما أن يقع في المخالفات، والقصور، والتجاوزات، وأكل المال الحرام، وغضش المسلمين، فمثل هذا الإنسان لا يستطيع أن يدعو الله أبداً، هناك حجاب كثيف بينه وبين الله.  
الصيغة التي جاء بها مسلم:

**((أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الْمَلِكُ مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَاسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيهِ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَاغْفِرْ لَهُ فَلَا يَرَأُ كَذَلِكَ حَتَّى يُضِيءَ الْفَجْرُ))**

هناك رواية ثالثة لهذا الحديث:

**((عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ يُمْهِلُ حَتَّى إِذَا  
ذَهَبَ ثَلَاثُ اللَّيْلَاتِ الْأَوَّلَ نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرَ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ؟  
هَلْ مِنْ دَاعٌ؟ حَتَّى يَنْفِجِرَ الْفَجْرُ))**

[مسلم عن أبي هريرة]

### الله عز وجل فعال لما يريد :

أيها الأخوة الكرام: حينما توحد الله وتراه وحده فعالاً في الأرض... كلمة:  
**(فعال لما يريد )**

[سورة هود: ١٠٧]

أنت من؟ أنت لست فعالاً لما تريده، لعلك تريدين أشياء لا تعد ولا تحصى، ولست قادراً على أن تفعل  
منها شيئاً، لكن الله:

**(فعال لما يريد )**

[سورة هود: ١٠٧]

ليس المجال مجال قصص، لكن هناك قصص واقعية والله لا تصدق، لي صديق أصيب بمرض  
خبيث في رئتيه، فزرته مرة في البيت قال: هناك احتمال أن تجرى عملية في بلاد بعيدة جداً، وأن  
هذه العملية تكلف ثمن بيته الذي يسكنه، زرع رئة واحتمال نجاحها ثلاثة بالمئة. أنا أظنه صالح

و لا أزكي على الله أحداً - العينات التي أخذت من رئتيه فحصت و حلت في بلاد الغرب،  
فكانـت ورماً خبيثاً من الـدرجة الخامـسة، أعرف أطباء أثـق بهـم ثـقة كـبيرة قالـوا: لا أـمل من شـفائه إـلا  
بـعملية زـرع كـبيرة، ونـجاحها ثـلاثـون بـالمـئة، وـفي بلـاد بـعـيـدة، وـتكلـف ثـمـن بـيـتهـ، يـبـدو أـنـه دـعا الله عـزـ  
وـجلـ بـإـخـلاـص شـدـيدـ، وـهـوـ الآـنـ حـيـ يـرـزـقـ، وـأـظـنـ القـصـةـ مـنـ عـشـرـينـ سـنةـ!  
فـحينـما تـدـعـو اللهـ الـذـي يـبـدو مـسـتـحـيـلاـ فـي قـدـرـةـ اللهـ عـزـ وـجلـ أـيـ يـأـسـ وـأـيـ شـعـورـ بـالـخـوفـ يـتـبـدـلـ حـينـ  
تـقـ بـالـلهـ.

( وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ )

[ سورة الأعراف: ١٥٦ ]

من كان الله معه فلا أحد عليه :

هـنـاكـ مـدـرـسـةـ فـي بـارـيسـ أـصـلـهـاـ مـغـرـبـيـةـ، أـصـبـيـتـ بـورـمـ خـبـيـثـ، فـقـالـ لـهـ الطـبـيـبـ- يـبـدوـ أـنـهـ بـلـغـ درـجـةـ  
كـبـيرـةـ مـنـ الـاـنـتـشـارـ-: مـعـكـ أـسـبـوـعـانـ فـقـطـ وـبـعـدـهـاـ تـمـوتـيـنـ، وـالـطـبـيـبـ بـفـرـنـسـاـ، فـحـيـنـماـ يـقـنـتـ بـالـمـوـتـ  
ذـهـبـتـ إـلـىـ مـكـةـ الـمـكـرـمـةـ لـتـؤـدـيـ عـمـرـةـ قـبـلـ أـنـ تـغـادـرـ الدـنـيـاـ، يـبـدوـ فـيـ أـثـنـاءـ الطـوـافـ وـقـدـ قـالـتـ فـيـ كـتـيـبـ  
أـفـتـهـ أـنـهـ طـافـ ثـمـانـيـةـ عـشـرـ شـوـطـاـ مـنـ شـدـةـ تـعـلـقـهـ بـالـلـهـ، وـخـوـفـهـ مـنـ أـنـ تـمـوتـ عـلـىـ غـيـرـ الإـيمـانـ،  
وـشـرـبـتـ مـنـ مـاءـ زـمـزـ، وـعـادـتـ إـلـىـ بـلـدـهـاـ لـتـمـوتـ، لـكـنـ اللـهـ شـفـاـهـاـ، وـأـلـفـتـ كـتـيـباـ صـغـيـراـ، قـصـةـ مـؤـثـرـةـ  
جـداـ، كـيـفـ أـصـحـابـ مـوـسـىـ قـالـواـ:

( قـالـ أـصـحـابـ مـوـسـىـ إـنـا لـمـدـرـكـوـنـ )

[ سورة الشعراء: ٦١ ]

فـرـعـونـ بـكـلـ قـوـتـهـ، وـجـبـرـوـتـهـ، وـطـغـيـانـهـ، وـحـقـدـهـ، وـرـاءـ شـرـذـمـةـ قـلـيلـةـ، وـالـبـحـرـ أـمـامـهـ، وـمـعـ ذـلـكـ  
أـنـجـاهـمـ اللـهـ عـزـ وـجلـ.

كـيـفـ سـيـدـنـاـ يـوـنـسـ أـمـلـ صـفـرـ فـيـ بـطـنـ الـحـوـتـ، وـهـوـ فـيـ ظـلـمـاتـ ثـلـاثـ قـالـ:  
( فـنـادـىـ فـيـ الـظـلـمـاتـ أـنـ لـاـ إـلـهـ إـلـاـ إـلـهـ أـنـتـ سـبـحـانـكـ إـلـيـ كـنـتـ مـنـ الـظـالـمـينـ \* فـاسـتـجـبـنـاـ لـهـ وـتـجـيـهـاـ مـنـ  
الـغـمـ وـكـذـلـكـ تـنـجـيـ الـمـؤـمـنـينـ )

[ سورة الأنبياء: ٨٧-٨٨ ]

وـالـلـهـ هـنـاكـ قـصـصـ لـغـرـابـتهاـ لـاـ تـصـدـقـ!ـ إـنـسـانـ فـيـ طـرـيقـهـ لـمـنـطـقـةـ جـمـيلـةـ فـيـ وـسـطـ القـطـرـ، تـرـكـ  
الـمـرـكـبـةـ وـذـهـبـ لـمـطـعـمـ، فـابـنـهـ لـعـبـ بـأـدـوـاتـ الـقـيـادـةـ، فـانـطـلـقـتـ المـرـكـبـةـ فـيـ الـوـادـيـ، وـالـوـادـيـ سـحـيقـ جـداـ  
فـدـعـاـ اللـهـ أـنـهـ إـذـاـ نـجـاـ أـهـلـهـ وـأـوـلـادـهـ يـتـصـدـقـ بـكـلـ مـاـ يـمـلـكـ!ـ وـنـزـلـتـ المـرـكـبـةـ لـقـعـرـ الـوـادـيـ وـسـلـمـتـ زـوـجـتـهـ  
وـأـوـلـادـهـ وـأـنـجـزـ وـعـدـهـ!ـ مـرـضـ عـضـالـ، مـصـيـبـةـ كـبـيرـةـ، عـدـوـ كـبـيرـ، إـذـاـ كـانـ اللـهـ مـعـكـ فـمـنـ عـلـيـكـ؟ـ وـإـذـاـ  
كـانـ عـلـيـكـ فـمـنـ مـعـكـ؟ـ

## الشدائد من أجل أن تدعوا الله بإخلاص وتعكف على بابه :

والله أيها الأخوة: في عشرين سنة سابقة لا يوجد أخ يضعني أمام مشكلة ليس لها حل إطلاقاً إلا أدله على هذا الدعاء، والحديث القدسي، وقد أستمع من بعض الأخوة لإنجذبات من غرائبها لا تصدق، كيف أن الله سبحانه وتعالى صرف عنه هذا البلاء، فهذا الحديث مهم جداً جداً.

((عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ قَالَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ يُمْهِلُ حَتَّى إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلَ نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرَةٍ هَلْ مِنْ تَائِبٍ هَلْ مِنْ سَائِلٍ هَلْ مِنْ دَاعٌ حَتَّى يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ))

[مسلم عن أبي هريرة]

وأنا أقول لكم مرة ثانية: أحياناً القصد أن تذوق طعم القرب من الله، قد تساق الشدائد من أجل أن تدعوا الله بإخلاص، من أجل أن تلجموا لبابه، من أجل أن تعكف على بابه، الله هو قمة العبودية، والأنبياء الكرام من دون مصائب عاكفون على بابه وهم في أوج قوتهم. النبي الكريم قبيل وفاته وقد دانت له الجزيرة العربية من أقصاها إلى أقصاها صعد المنبر وقال: "من كنت جلت له ظهراً فهذا ظهرى فليجلده، ومن كنت أخذت له مالاً فهذا مالي فليأخذ مني، ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضي فليقتد منه، ولا يخشى الشحناه فإنها ليست من شأنى ولا من طبيعى".

الحقيقة الإنسان حينما يكون ضعيفاً يكون متواضعاً، لكن بطولته حينما يكون قوياً وغنياً، حينما تشعر وأنت في أعلى درجات القوة بالافتقار إلى الله، وحينما تشعر وأنت في درجات الغنى بالافتقار إلى الله، فأنت موحد، لكن الغنى يطغي والقوة تنسي في بعض الأحيان.

فنحن تحت رحمة الله، ونسأله وحده، ونعتمد وننوك كل عليه وحده، وهذا الحديث هو الدواء لكل داء ومشكلة، وكل عدو متربص بنا، وكل مرض عضال، فما عند الله ليس عند العبد.

**والحمد لله رب العالمين**